٢ ر.س

نساء زاهدات



محمد خير يوسف

دار الوطن للنشر

نساء زاهدات

محمد خير يوسف

دار الوطن للنشر
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

بسم الله الرحمن الرحيم

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

نســاء زاهــدات

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٢٦١٠٥

الدمام : ت ٨٢٧١٨١١

القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥

إهــداء

إلى بُنيَّاتي
غفران وأروى وسمية وشفاء
عسى أن يتدبَّرن هذا الحديث عندما يكبرن
إن شاء الله.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. . **وبعد:**

هذه مشاهد ووقفات متأنية. . عميقة المعنى. . تلتزم جانب العزيمة والصبر، في سيرة مسلمات ملتزمات، رأين في ذكر الله أنسًا لهن، وفي عبادة الله إحياءً لقلوبهن، وفي الزهد والرضى بالقليل صفاء في الدنيا لا كدر فيه ولا غم.

هي بالأحرى مجالس للخواص من النساء المؤمنات. .

لتلك اللواتي سمعن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿**لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾، [سورة الأنبياء، الآية: ٩٢]. فهرعن إلى مصلاهن يصلين ويسبحن ويكبِّرن.

هن اللواتي خلت قلوبهن إلا من ذكر الله ودعائه والانشغال بعبادته. . رأين الذنوب الصغيرة جبالًا تكاد تقع عليهن. . لأنهن أدركن جلال الله وعظمته، وأنه لا ينبغي أن يُعصىٰ. .

لقد سألن عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**قل آمنت**

بالله ثم استقم»(١)، فقيل لهن: الاستقامة معناها لزوم طاعة الله . . فالتزمن ذلك ودأبن عليه.

وسمعن نداء العزيز الحكيم يقول: ﴿**فاعبده واصطبر لعبادته**﴾ [سورة مريم، الآية: ٦٥].

ونداءه في الحديث القدسي: «**مايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه**»(٢).

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لو يعلمُ المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طَمِعَ بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»(٣).

فيزددن خوفًا وخشية، ويلجأن إلى ذكر الله، ويجتهدن في طاعته، والانصياع لأوامره. . رجاء فضله وسعة رحمته. .

ويبكين وهن يتضرعن إلى الله أن يقبل توبتهن، ويجعلهن في زمرة الصالحين التائبين. . ويمضين لياليهن في الدعاء والبكاء. .

ألم يغطِّ صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وجوههم

---

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

ولهم خنين عندما قال لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**؟[١]

أما روى الترمذي بسند صحيح عن عبدالله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ قال: **«أتيتُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»**؟

نعم كن يبكين كثيراً.. وكثيراً.. حتى يبين موضع الدمع على خدودهن.. وحتى توجع عيونهن!

كن يخشين الله حقـا.. فتنحدر دموعهن سهلة، دون أن يقف أمامها عائق.

وفي حديث أبي أمامة قوله، صلى الله عليه وسلم: **«ليس شيءٌ أحبَّ إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرةِ دموعٍ من خشيةِ الله، وقطرةِ دم تهراق في سبيل الله..»**[١]

نعم هذه مجالس قصيرة.. كثيرة العبر.. للخواص من النساء المؤمنات.. اللواتي ملأ الإيمان قلوبهن وأفاض على جوانحهن.. فأردن صحبة أخوات لهن ممن مضى أثرهن.. يسألن عن أخبارهن، ويتتبعن سيرتهن، فيلتقطن دُرَرَ أقوالهن،

---

(١) متفق عليه.

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ويستشعرن في قلوبهن جمال سيرتهن، ويرين في ذلك مواساة، بل قوة لهن في المضي في استقامتهن وعبادتهن.. في زمن يشعرن فيه بغربتهن، ووجود القليلات من أمثالهن..

نعم يا أخت..

ستقرأين في «لقطات» سريعة من حياتهن كيف كن يمضين أوقاتهن في عبادة الله.. ويشعرن بحلاوة الإيمان، والأنس بالعبادة في الهزيع الأخير من الليل.. حيث لا صوت ولا صخب ولا ضجيج.. يسمعن صوت بكائهن فقط، ويلمسن حرارة دعائهن فقط.. ويأنسن لذلك ويرتحن.. نعم.. كانت لذة النوم في الأسحار تداعب أعينهن الساهرة، إلا أنهن كنَّ يفضلن إحياء الليل، والتعب في العبادة، والقيام الطويل، والركوع والسجود الدائبين.. حتى درجة الإرهاق.. شكرًا لله على هدايتهن، وطمعًا في عفو الله ورضاه..

أما روت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **«كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه»**؟[١]

أي تتشققان لكثرة العبادة؟

ستقرأين كذلك أنهن كن زاهدات لا طمع لهن في درهم ولا

---

(١) متفق عليه.

دينار. . وماذا سيفعلن بدنيا زائلة شبهها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بجدي أسكَّ ميت، وتناوله من أذنه وقال: «. . **فوالله للدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم**»[١].

وماذا عليهن لو زهدن في الدنيا عملاً بنصيحة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لذلك الرجل الذي قال: يارسول الله، دُلَّني على عمل إذا عملتُه أحبني الله وأحبني الناس. فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[٢].

أَمَا لهن الأسوة بالنبي الحبيب الذي ما ترك عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة، كما رواه البخاري؟

ولاشك أنكِ ستدركين سرَّ فتنة كثير من زميلاتك، ومن تعرفين منهن ومن لا تعرفين، وسببَ انغماسهن في لذائذ الدنيا، وكثرة أحاديثهن عن أطايب الطعام، ومفاخرتهن بالذهب والمال والحشم والخدم. .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة (أفاده النووي في رياض الصالحين).

إنكِ ستعرفين سرَّ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**»(١).

ستقرأين هذا يا أخت..

وستجـولـين بنظرك إلى بعضهن وقد أعطاهن الله جمالاً في عيونهن ووجوههن، لكنهن كن في ستر وعافية.. وعبادة وصلاح..

وستقرأين كيف كن يقتصرن في معيشتهن على ما يعرفن من أن ما يقتنينه هو من مصدر حلال معروف؛ وكن في ذلك على غاية من الخشية والخوف..

فانظري في شأنك ياأخت إذا مررت بمثل هذا، واعتبري.. نعم.. وستقرأين كيف كن ينصحن أزواجهن، ويطلبن منهم الإكثـار من العبـادة، وقيام الليل.. وينصحن أبنـاءهن.. وآخـرين من العلماء والعامة.. نصائح تغور في أعماق النفس البشرية.. وهي من نتائج الإخلاص في القول والعمل..

وستمـرُّ بكِ مواقف من صبرهن عنـد فقـدان أزواجهن أو أولادهن.. وأنها تدل على إيمان مكين، واستقامة وطاعة وامتثال.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أمـا الـدعـاء.. ففي السَّحَـر. وبعـد الصـلاة.. وفي التهجُّـد.. ترفـع المـرأة الصـالحـة رأسها إلى السماء، ولا ترد طرفها.. وتضرع إلى التواب الرحيم أن لا يسخط عليها، وأن لا يغلق دونها أبواب رحمته، وأن يغفر لها ذنبها، ويجعلها في زمرة السابقين..

وأخيرًا.. ستأنسين بأقوال من دُرَرِ كلماتهن.. وستعلمين من خلالها، ومن خلال سيرتهن ومحاورتهن.. كم كن يخشين الله، وكم كن يستشعـرن عظمة الله وجلاله في قلوبهن.. وكم كن يحببن الهداية والرشاد للناس أجمعين.

إنها أخبـار «**صفوة النساء**» من العـابدات والزاهدات.. اخترتُ معظم أخبارهن من «صفة الصفوة» لابن الجوزي.. مع الانتقاء والتهذيب والترتيب الموضوعي..

ولِم أنقـل ما كان يخص الصحابيات ـ رضوان الله عليهن ـ فقد أفردت أخبارهن في كتب أخرى، يسهل اقتناؤها.

وركــزت من بين أخبــار النسـاء على من عُرفت بالـزهـد والعبادة.. عسى أن يكون في ذلك درسٌ للأخوات المسلمات، يقللن فيه من الحديث إلا ما كان في طاعة الله، ويجتنبن المال إلا ما كان طيبًـا حلالاً لا شبهـة فيه، ويتجهن إلى عبـادة ربهن

ليستشعرن فيها حلاوة النجوى وحرارة الدعاء، في الليل وبعد الصلوات.

وستتذكر المؤمنات وهن يقرأن أخبار أمثالهن أنهن أقرب إلى قلوبهن من أخواتهن وأهليهن.. ويستأنسن بأحاديثهن وكأنهن يلتقين بأخوات لم يريهن منذ زمن طويل.

ولم أشأ أن أعلق على ما أوردته..

بل اكتفيت بوضع «المَشـاهـد» وإيراد الأقوال.. ولكِ أن تجربي أثرها بأسلوبك الذاتي، ودون تفسير خارجي.. وأدعو الله لكِ بالتوفيق والسداد.

محمد خير يوسف

٢٧/٥/١٤١٣هـ

زهد وتقوى.. ومال حلال

* ذكر سفيان الثوري لعبدالله بن المبارك أن امرأة بالكوفة يقال لها أمُّ حسان كانت ذات اجتهاد وعبادة. . قال: فدخلنا بيتها[١] فلم نر فيه شيئًا غير قطعة حصير خلق. . فقال لها الثوري: لو كتبتِ رقعةً إلى بعض بنِي أعمامك لغيَّروا من سوء حالك. فقالت: ياسفيان، قد كنتَ في عيني أعظم وفي قلبي أكبر منذ ساعتك هذه! إني ما أسأل الدنيا مَنْ يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها؛ فكيف أسأل مَنْ لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ ياسفيان: والله ما أحبُّ أن يأتي عليَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله. فأبكت سفيان.

* وامرأة أخرى راضية بالقليل مؤتمنة على أموال آخرين. . يمرُّ بها الربيع بن خثيم. . فإذا أمست جاءت إلى عُنيزة لها فحلبت ثم شربت، ثم حلبت فسقته. فقال لها في اليوم الثالث: ياهذه لِمَ لا تسقيني من غير هذه العنز؟ قالت: ياعبدالله إنها ليست لي. قال: فلِمَ تسقيني من هذه؟ قالت: إن هذه مُنِحْتُها أشرب من

(١) أي عند أهلها. . وهكذا القصة التالية. .

لبنها وأسقي مَنْ شئتُ. قال: ياهذه، فليس لك من العمل أكثر مما أرى؟ قالت: لا ، إلا أني ما أصبحت على حال قط فتمنيتُ أني على حالٍ سواها، رضىً بما قسم الله لي!

* وذكـر الراغب الأصفهاني في محاضراته (١/٥١٥) أنه أتى رجـل إلى شقيقٍ البلخي يطلبه، فقالت امرأته: قد خرج إلى الجهـاد. فقـال: ومـا خلَّف لكم؟ قالت: أرازقٌ شقيقٌ أم مرزوقٌ؟ فقال: بل مرزوق. قالت: إن المرزوق خلَّف علينا الرازق.. ياهذا لا تَعُدْ إلينا فتفسد على الله قلوبنا!

* وكـان للعبـد الصـالـح والزاهد المعروف بشر الحافي ثلاث أخوات عابدات زاهدات، وكانت «مضغة» أكبر منه، وماتت قبله، فتوجَّع عليها توجعًا شديدًا، وبكى بكاء كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: إن العبد إذا قصَّر في طاعة الله ـ عز وجل ـ سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي من الدنيا.

وذكر عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: كنت مع أبي يومًا من الأيام في المنزل، فدقَّ داقٌ الباب، فقال لي: اخرج فانظر من بالباب؟ فخرجت، فإذا امرأة، فقالت لي: استأذن لي على أبي عبدالله، قال: فاستأذنته، قال: أدخلها(١).

(١) إنه يستنتج من أحوال العلماء العاملين أمثال الإمام أحمد بن حنبل، والعابدات الزاهدات أمثال أخوات بشر، أن الأسئلة إما أنها كانت من =

قال: فدخلتْ، فسلَّمت عليه وقالت له: يا أباعبدالله: أنا امرأة أغزل بالليل في السراج، فربما طفىء السراج فأغزل في القمر، فهل عليَّ أن أبيّن غزل القمر من غزل السراج (تقصد أنه قد لا تكون القطعة التي غزلتها في ضوء القمر بمثل جودة الغزل في ضوء السراج).

فقال لها الإمام أحمد: إن كان عندك بينهما فرق فعليكِ أن تبيِّني ذلك.

ثم سألته قائلة: يا أبا عبدالله: أنينُ المريض شكوى؟

قال: أرجو ألّا يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله ـ عز وجلٍ ـ!

قال عبدالله: فودَّعَتْهُ وخرجت، فقال: يابنيَّ، ماسمعتُ قط إنسانًا يسأل عن مثل هذا. اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟

قال: فاتبعتُها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر الحافي، وإذا هي أخته.

قال: فرجعتُ، فقلتُ له، فقال: محالٌ أن تكون مثل هذه إلا أختَ بشر!

قال ابن الجوزي: هذه المرأة التي سألت أحمد هي «مخة».. وقرأتُ بخط أبي علي الراذاني قال: كانت مخة من بين أخوات

= وراء حجاب، أو بحضور محارم من الطرفين، أو من أحدهما.

بشر تقصد أحمد بن حنبل، وتسأله عن الورع والتقشف، وكان أحمد يعجب بمسائلها!

* وورد قريبًا من تلك القصة ما روي عن ميمونة بنت الأقرع في طبقات الفقهاء الحنابلة.. وكانت عابدة زاهدة، كتبت عن الإمام أحمد أشياء. وأخبر المروزي قال: ذكرتُ لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع، فقلت له: إنها أرادت أن تبيع غزلها، فقالت للغزال: إذا بعتَ هذا الغزل فقل إني ربما كنت صائمة فأُرخي يدي فيه.

ثم ذهبت، ورجعت فقالت: رُدَّ عليَّ الغزل، أخاف أن لا تبيِّن هذا لمن تبيعه!

* وهذه عائشة بنت عمران بن سليمان المنوبي، التونسية، نشأت في حجر أبيها.. فاعتنى بتربيتها، فعلمها القرآن، فأتقنت حفظه، ثم عكفت على الزهد والصلاح، وكانت تغزل الصوف وتقتات من مورده..

وكانت تبرُّ الفقراء والمساكين، وتسدُّ عوز المحتاجين، فكانت لا تدَّخر شيئًا من كسبها.. وروي عنها أنها كانت تقول إذا بات بجيبها درهم ولم تتصدق به: الليلة عبادتي ناقصة.

* وأورد ابن قتيبة خبر أم غسان الأعرابية.. تلك العابدة الزاهدة، المكفوفة البصر، التي كانت تعيش بمغزلها وتقول:

الحمد لله على ما قضى وارتضى. رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين بالله على بيت ضيق الفناء، قليل الكِواء، وأستعين بالله على ما يطالع من نواحيه..

* وفي كنف أمثال هذه الصالحات تنشأ بنيات يخاطبن أباءهن - كما أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة - قائلات: يا أَبَهْ، لا تطعمنا إلا الحلال، فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار.

فبلغ ذلك سفيان الثوري فقال: ما لهنّ رحمهن الله؟!

جمال وعبادة

* روى مالك بن دينار عن امرأة بمكة كانت من أحسن الناس عينين، وكانت تخشى الله . . وتبكي كثيراً فقيل لها: تذهب عيناك؟ فقالت: إن كنتُ من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنتُ من أهل النار فسيصيبهما أشدّ من هذا.

فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها. يرحمها الله.

* وروى محمد بن قدامة قال: بلغنا أن امرأة كان يقال لها حَسَنة، تركت نعيم الدنيا، فأقبلت على العبادة، فكانت تصوم النهار، وتحيي الليل، وليس في بيتها شيء . .

وكانت جميلة . . فقالت لها امرأة: تزوجي . . فقالت: هات رجلاً زاهدًا لا يكلفني من أمر الدنيا شيئًا، وما أظنك تقدرين عليه. فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجالٍ الدنيا، فإن وجدتِ رجلاً . . يصوم ويأمرني، ويتصدَّق ويحضني عليه فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام!

عبادة وصلاح

* عابدة من الكوفة، كانت في غنى، وكانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا، فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقادًا.

وروى أبو بكر بن عبيد قائلاً: وكانت تصوم في شدة الحرِّ حتى يتغير وجهها، فيقال لها في ذلك فتقول: إنما أدور على طول الريّ والشِّبَع في الآخرة.

* وهذه معاذة بنت عبدالله العدوية تقول: عجبت لعينٍ تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

وروى الحكم بن سنان الباهلي قال: حدثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت: كانت تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يانفسُ، النوم أمامك، لو قدمتِ لطالت رقدتكِ في القبر على حسرة أو سرور. قالت: فهي كذلك حتى تصبح.

وعن عمران بن خالد قال: حدثتني أم الأسود بنت زيد العدوية، وكانت معاذة قد أرضعتها، قالت: قالت لي معاذة لما قُتل زوجها وقُتل ولدها: والله يا بنية، ما محبتي للبقاء في الدنيا

للذيذِ عيشٍ ولا لِرَوْحِ نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي ـ عز وجل ـ بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

* وروى عبدالرحمن بن عمرو الباهلي قال: حدثتني دلال بنت أبي المدل قالت: حدثتني أمي آمنة بنت يعلىٰ بن سهيل قالت: كانت عَجْرَدة العمية تغشانا، فتظل عندنا اليوم واليومين. قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنَّعت، ثم قامت إلى المحراب، فلاتزال تصلي إلى السَّحَر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر!

* وعندما يقال لعُفيرة العابدة: إنك لا تنامين الليل! تقول:

ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام، أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافِظاه ليلاً ولا نهارًا؟

* وروى أحمد بن سهل الأزدي عن زجلة العابدة مولاة معاوية، عندما طلب منها الرفق بنفسها فقالت: مالي وللرفق بها؟

فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيءٌ لم يدركه غداً. والله يا إخوتاه لأصلّينَّ ما أقلّتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيام حياتي، ولأبكينَّ له ما حملت الماء عيناي. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصرٍّ فيه؟

* وكانت مملوكة لإبراهيم النخعي تعمد إلى اليوم الشديد الحر

فتصومه، فقيل لها: إنك تعمدين إلى أشدِّ الأيام حرًّا فتصومينه؟ فقالت: إن السعر إذا رَخُص اشتراه كلُّ أحد!

* وعندما يقال لسوداء عابدة من البصرة تكثر العبادة:

يا هذه أما تخافين العُجْب؟ فرفعت رأسها وقالت: كيف يُعجب بعمله مَنْ لا يدري لعلّه قد رُدَّ عليه؟

* وكانت أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف إليهن وتقول: أحب حديثكن، فإذا قمت في صلاتي لهوتُ عنكن ونسيتكن.

* وتنتبه عمرة امرأةُ حبيب العجمي ليلة وهو نائم، فتنبهه وتقول له: قم يارجل فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

* وعندما يتزوج رياح القيسي امرأة.. ينام الليل ليختبرها.. فتقوم ربع الليل ثم تناديه: قم يا رياح، فيقول: أقوم. فتقوم الربع الآخر، ثم تناديه فتقول: قم يا رياح، فيقول: أقوم، فلم يقم، فتقوم الربع الآخر ثم تناديه.. فيفعل كذلك، فتقول: مضى الليل وعَسْكَر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري مَنْ غرَّني بك يارياح؟!

قال: وقامت الربع الباقي.

نصائح من الأعماق

* ذكر نوح الأسود أن امرأة كانت تأتي مجلس أبي عبدالله البراثي، فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء.

فقال لها أحدهم ذات يوم: لا أراكِ يرحمك الله تتكلمين ولا تسألين عن شيء؟ فقالت:

قليلُ الكلام خيرٌ من كثيره إلا ما كان من ذكر الله، والمنصتُ أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه.

وجملةُ الأمر يا أخي: إن أردتَ الله بطاعة أرادك الله برحمة، وإن سلكت سبل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرتَ غدًا في زمرة الخاسرين.

قال: ثم استبكت فقامت.

وسُمعت تعظ ابنها يومًا وتقول:

ويحك يابني، احذر بطالات[1] الليل والنهار، فتنقضي مهلات الأعمار وأنت غير ناظرٍ لنفسك ولا مستعد لسفرك.

---

(١) جمع بطالة: التعطل والتفرغ من العمل.

ويحك يابني، ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار.

ويحك يا بني، مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجِدَّ قبل أن يجدَّ الأمر بك، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلُّبها بالعبر، فعند ذلك يهتمُّ التقي كيف ينجو من مصائبها.

ثم قالت: بؤسًا لك يابني إن عصيت الله وقد عرفتهُ وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفتَ طغيانه!

* ونصحت معاذة بنت عبدالله العدوية ابنتها من الرضاعة قائلة: يابنية: كوني من لقاء الله - عز وجل - على حذر ورجاء، وإني رأيت الراجي له محقوقًا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملًا للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم بكت حتى غلبها البكاء.

* وهذه حفصة بنت سيرين التي قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة تسعين تذكِّر الشباب قائلة:

يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

* وتوصي إحدى العابدات من البادية ابنها الذي أراد سفرًا قائلة:

يابني ، أوصيك بتقوى الله ، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرِّق بين المحبين. ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إمامًا، واعلم أنه مَنْ جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحلَّة: إزارَها ورداءَها.

* وهذه امرأة صالحة أخرى توقظ زوجها الذي يحب النوم وتقول له:

قم ويحك إلى متى تنام؟

قم يا غافل.. إلى متى أنت في غفلتك؟

أقسمتُ عليك أن لا تدخل النار من أجلي.

برَّ أمَّك.

صل رَحِمك.

لا تقطعهم فيقطعَ الله بك.

* وتنصح أم سفيان الثوري ابنها قائلة:

يابني، اطلب العلمِ وأنا أكفيك بمغزلي.

وقالت له: إذا كتبتَ عشرة أحرف فانظر: هل ترى نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك؟

* وعن أبي عبدالرحمن المغازلي أن حكيمة مجاورة بمكة كانت تنصح وتقول:

مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم، وردّوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم، فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى الله في قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يُرَدَّ في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم، ولا تغفلوا عن أنفسكم فتردّ عليكم حيث لا يوجد البدل، ولا يقدر على الفداء.

وتقول: إنما صلاح الأبدان وفسادها في حسن النية وسوئها.

إخوتي: إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه.

ولولا الله: ما نالوا ذلك، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله.

إخوتي: بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله، والله واسع كريم.

الصبر من الإيمان

* روى حماد بن سلمة قال: أنبأ ثابت البناني، أن «صلة بن أشيم» زوج معاذة العدوية، كان في مغزىً له، ومعه ابن له. فقال: أي بني: تقدَّم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل، فقاتل حتى قتل. ثم تقدم «صلة» فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحبًا، إن كنتن جئتنَّ لتهنئنني فمرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

* وتصاب منفوسة بنت زيد الفوارس بابنها، وحولها نساء معولات، وإذا هو في حجرها وهي تقول: والله لتقدُّمك أمامي أحب إليَّ من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدي من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحلُّ من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك؟ ولئن كان فراقك حسرة، إنَّ توقُّع أجرك لخيَرة.

* ومات ابنٌ لأعرابية، فمازالت تبكي حتى خَدَّ الدمع في خدِّها ثم استرجعت فقالت: اللهم إنك قد علمتَ فرط حنوِّ الوالدين على ولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وقد علمتَ قَدْرَ عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما، وألزمته برَّهما. وقد كان ولدي من البرِّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجُرْه بذلك منّي صلاة، ولقِّه سرورًا ونضرةً..

دعاء ونجوى

* وروي عن «سَوِيَّة اليمنية» أنها كانت تقول:

يارب! أراك خلَقتَ سويّة من طينة لازبة، غمرتها بنعمتك، تغذوها من حال إلى حال، وكلُّ أحوالك لها حسنة، وكلُّ بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرِّضة لسخطك بالتوثب على معاصيك، فَلْتَة في إثر فلتة.. أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟ بلى وأنت على كل شيء قدير.

* وروى رجاء بن مسلم العبدي أن عجردة العمية كانت تقوم السَّحر وتنادي بصوت لها محزون.

إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، ياكريم.

ثم تخرُّ ساجدة، فلاتزال تبكي وتدعو.

* وعن أبي محمد عبدالله المكي قال: كانت حبيبة العدوية إذا

صلَّت العَتَمة، قامت على سطح فشدَّت عليها درعها وخمارها، فقالت:

إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغَلَّقت الملوكُ أبوابها، وبابك مفتوح. . وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السَّحَر قالت:

اللهم وهـذا الليل قد أدبـر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعـري: هل قبلتَ مني ليلتي فأهَنَّأ، أم رددتها عليَّ فأعُزَّى؟. فوعزتك لهذا دأبي أبدًا ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحتُ من بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك.

* وكانت زهراء الوالهة تدعو وتقول:

ياذا الأيادي التي لا تحصى، وياذا الجود والبقاء، متِّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يالطيف، وأعذني من مسالك المحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحـالات مطيعة. . وكن لي يا منوِّر قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحبًا. . أسألك أن تصرف عني شرَّ ما أجد، فقد استوحشت من الحياة.

* وعن الحسن بن جعفر أنه سمع أباه يقول: مررتُ بدارٍ، فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول: ياحليم، تقرَّبَ الناسُ إليك بالأعمال يدعونك بها، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عملَ أرضاه؟

يارب هب لي من حلمك ماتكفيني به وتنجيني من عذابك. .

* وروى سري السقطي قال: بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت:

اللهم إن إبليس عبدٌ من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك. اللهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمرك على شيء. اللهم إن أرادني بشرٍّ فأَرِدْه، وإن كادني فكِدْه، أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره.

درر الأقوال في الطاعة والامتثال

* تقول «زبدة» أخت بشر الحافي:

أثقل شيء على العبد الذنوب، وأخفُّه عليه التوبة، فما له يدفعٍ أثقل شيء بأخف شيء؟

* دقّ أحدهم باب إبراهيم الخوَّاص، فقالت له أخته: من تطلب؟ فقال: إبراهيم الخواص، فقالت: قد خرج، قال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع؟

* روى عيسى بن إسحاق الأنصاري قال: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأنس بالله، والموافقة لتدبيره.

* روى سفيان أن عابدة من الكوفة كانت تقول: طول الأمل بطأ بي عن سبيل النجاة.

* بردة الصريمية.. كانت إذا قيل لها: كيف أصبحتِ؟ تقول: أصبحنا أضيافًا منتجعين بأرضِ غربةٍ، ننتظر إجابة الداعي.

* ذكر عاصم الجحدري أن «أمَ طلق» البصرية كانت تقول: ما ملكتْ نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطانًا.

وتقول: النفس مَلِكٌ إن اتبعتها، ومملوك إن أتْعبتها.

* قال رباح بن أبي الجراح: رأيت بحريَّة العابدة تبكي وتقول:

تركتك يارب وأنا رُطَبة، وأتيتك وأنا حشفة، فاقبل الحشفة على ما كان منها.

وتقــول: إذا ترك القلب الشهــوات ألف العِلْمَ واتَّبعـه، واحتمل كل ما يرد عليه.

* وتقــول سلمى البصرية كما روى عنهــا خلف بن الــوليد الجوهري: إلهي، علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذاذة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسَّعت عليَّ خُلقي فيما بيني وبين عبادك.

* وتقول ابنة أم حسان الأسدية للعالم الجليل سفيان الثوري: ياسفيان، كفىٰ بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه، وكفى بالمرء علمًا أن يخشى الله.

* ويرى ذو النون المصري فاطمة النيسابوريّة في مكة المكرمة وهي تتكلم في فهم القرآن، وتعجب منها، وسمعها تقول:

من لم يكن الله ـ عز وجل ـ منه على بال، فإنه يتخطى في كل ميدان، ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال، أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص.

وقالت: الصادق المقرَّب في بحر تضطرب عليه أمواج، يدعو ربه دعاءَ الغريق، يسأل ربَّه الخلاص والنجاة.

* وتقول أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز: جُعل لكل قوم

نهمة في شيء، وجُعلتْ نهمتي في البذل والإعطاء. والله لَلصِّلةُ والمواساةُ أحبُّ إليَّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ.

وكانت تقول: هل يُنال الخير إلا باصطناعه؟

وتقـول : ماحسـدتُ أحدًا قطُّ على شيء إلا أن يكون ذا معروف، فإني كنتُ أحبُّ أن أشركه في ذلك.

* ويسـأل ذو النـون المصري إحـدى عابدات جبال الشام: حدثيني ما الغنى؟

قالت : الزهد في الدنيا!

* ويسمع إحدى عابدات السواحل وهي تقول:

يارب! لعـظمتـك سبَّحت الحتيان في البحـار الزاخرات، ولجـلال قدسـك اصـطفقت الأمواج المتلاطمات. أنت الذي سجـد لك سوادُ الليل وضـوء النهـار والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار.

* وسُمعت أم نهار العدوية عند قبر جديد وهي تعظ وتقول:

أيها الناس! إنكم من الله ـ عز وجل ـ في نعمة ستر، ومن النـاس بمحـل تزكية، فإياكم ومداراة زخاريف الرخاء، فإنها

ليست من صفة الألبَّاء، فَأجْلُوا سمادير(١) الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل هذه العَرصات الخُرس والربوع الصموت، وارجعوها صورًا بوهمكم: تتنسمون روح الحياة، فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يُخبروا. فأحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غُرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب إذ وليَ الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرسًا، وبالسمع صممًا، وبالحركات سكونًا. رحم الله امرءًا أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشي وقت العقاب. ثم قالت:

الموتُ يُفني ولا يُبقي على أحد
ما أحسب الموتَ يُبقي جدَّة الأبد
يا موت كم من كريم قد فجعت به
من أقربيهِ ومن أهل ومن ولد

ثم قالت: تغمدكم الله بالرحمة، وبلغ بكم شرف الهمة.

* وروى أبو بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبدالقيس

---

(١) هو الشيء الذي يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب، وغشي النعاس، والدوار.

متعبـدة، فكـانت تقـول: عاملوا الله على قدر نعمـه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه.

وتقول: إن القلب القاسي إذا جفا لم يليِّنه إلا رسومُ البلى، وكأني أنظر إلى أهل القبور وقد خرجوا من بين أطباقها، وإلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام المتغيرة.. فياله من منظر كربةٍ لو أشرَبَه العباد قلوبهم؛ ما أثكل مرارته للأنفس، وأشدَّ إتلافه للأبدان.

.. وإن من الشعر لحكمة

* ماتت جارة لأم غسان الأعرابية، الزاهدة الكفيفة، فقيل لها: ما فعلت جارتك؟ فقالت:

تقســـَّمَ جاراتُهـــا بيـتـــهـــا
وصـــارت إلى بيـتـــهـــا الأتـــلدِ

* وروى الثقة محمد المبارك الصوري، المعروف بالقلانسي القرشي، قصته عن رؤية صالحة في جبال بيت المقدس.. وأنه عندما رآها حكيمة طلب منها أن تعلمه.. فأنشأت تقول:

دنـــيـــاك غرارة فَذَرْهـــا
فإنها مَرْكَـــبٌ جموحُ

دون بلوغ الجَـــهـــولِ منهـــا
منـــيـــتـــه، نفـــسُـــه تطيـــحُ

لا تركـــب الشرَّ واجـــتـــنـــبـــهُ
فإنـــه فاحشٌ قبـــيـــحُ

والخـــيرَ فاقـــدم عليـــه تَرْشُـــدْ
فإنـــه واســـع فســـيـــحُ

* وسُمعت جارية من البصرة وهي تقول:

زَهِـدَ الـزاهـدون والـعـابـدونـا
إذ لمولاهـم أجـاعـوا الـبـطونـا
أسـهـروا الأعـين الـقـريحـة فيـه
فمـضـى ليـلُهـم وهـم ساهـرونـا

المصــادر

- أعلام النساء. عمر رضا كحالة.
- شهيرات التونسيات. حسن حسني عبدالوهاب.
- صفة الصفوة. ابن الجوزي.
- طبقات الفقهاء الحنابلة. ابن أبي يعلى.
- عيون الأخبار. ابن قتيبة.
- محاضرات الأدباء. الراغب الأصفهاني.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان.

المحتويات

الصف والإخراج : مركز خدمة المؤلف هاتف: ٤٦٢٠٦٩١

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض

أحدث إصداراتنا

* **هموم فتاة ملتزمة**/ الشيخ سلمان بن فهد العودة .... ٤ ر.س
* **حديث إنما الأعمال بالنيات** / د. صالح السدلان .... ٤ ر.س
* **لحوم العلماء مسمومة/ تقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز/** د. ناصر بن سليمان العمر .... ٣ ر.س
* **لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها** / د. إبراهيم أبو عباة .... ٤ ر.س
* **التساهل مع غير المسلمين** مظاهره وآثاره / د. عبدالله الطريقي .... ٣ ر.س
* **جسور المحبة** / عائض القرني .... ٤ ر.س
* **ثقافة الضرار** / جمال سلطان .... ٦ ر.س
* **مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد (الرسالة الأولى)/** عثمان علي حسن .... ٥ ر.س
* **قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد (الرسالة الثانية)/** عثمان علي حسن .... ٥ ر.س
* **مواقف أهل السنة من المناهج المخالفة لهم (الرسالة الثالثة)/** عثمان علي حسن .... ٤ ر.س
* **حكم مخالفة أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد (الرسالة الرابعة)/** عثمان علي حسن .... ٤ ر.س
* **موجبات الجنة في ضوء السنة** / عبدالله الجعيثن .... ٤ ر.س
* **المدرس ومهارات التوجيه** / محمد بن عبدالله الدويش .... ٤ ر.س
* **صوت الشيطان** / عبدالعزيز بن عبدالفتاح راوه .... ٣ ر.س
* **إن الله هو الحكم** / محمد بن شاكر الشريف .... ٥ ر.س
* **تهذيب السيرة النبوية** / النووي/ خالد الشايع .... ٤ ر.س
* **أخبار النساء في سير أعلام النبلاء (الجزء الأول)/** عبيد بن أبي نفيع الشعبي .... ٣ ر.س
* **أخبار النساء في سير أعلام النبلاء (الجزء الثاني)/** عبيد بن أبي نفيع الشعبي .... ٤ ر.س
* **أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما** / ريم بنت عبدالله .... ٣ ر.س
* **وقفات مع الأسرة** / صبري شاهين .... ٤ ر.س
* **مسالك السعادة** / حسن صابر سليمان .... ٤ ر.س
* **الحقد الدفين على العلماء والصالحين** / عبيد بن أبي نفيع الشعبي .... ٣ ر.س

توزيع مؤسسة الجريسي